مبحث

في رؤية الله عز وجل

إعداد : فضيلة الشيخ

أبى عبد الله

عادل الشوربجى

حفظه الله

مبحث في رؤية الله عز وجل

الرؤية : بالتاء المربوطة هي الرؤية بالأبصار

الرؤيا : بالألف الممدودة هي التي تكون في المنام

المعنى بأحاديث الرؤية هي رؤية رب العزة والجلال سواء رؤية بالأبصار أو رؤيا في المنام

أولاً تنقسم رؤية الله عز وجل باعتبار زمن الرؤية إلى ثلاثة أقسام :

١- في المنام ٢- في الدنيا ٣- في الأخرة

ثانياً تنقسم الرؤية باعتبار الرائي إلى قسمين :

١- رؤية النبي ﷺ ٢- رؤية غير النبي ﷺ

ويضاف إلى هذه الأشياء قسم خاص وهو رؤية النبي ﷺ لربه في المعراج

أولاً رؤية المولى عز وجل لغير النبي ﷺ في الدنيا :

س: هل من الممكن أن يرى أحد ربه في الدنيا بعيني رأسه في الدنيا يقظة ؟

الجواب: هذه الرؤية ممتنعة في الدنيا وإن كانت ممكنة لكنها غير واقعة

س: لماذا هي ممكنة لكنها غير واقعة ؟

الجواب: روى الإمام مسلم عن عُمَرُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ أن بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبره: «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ»[١]

وجه الاستدلال: دل الحديث على أن الرؤية ممتنعة في الدنيا وإن كانت ممكنة لكنها غير واقعة لضعف البشر فإنهم يستطيعون ذلك بل الجبل ما استطاع أن يقوم لرؤية الله عز وجل

فموسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام طلبها من الله ومحال على الأنبياء أن يطلبوا شيء مستحيل قال تعالى﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٤٣: الأعراف]

١- أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٤٥، ١٦٩) بَابُ ذِكْرِ ابْنِ صَيَّادٍ

روى الإمام أحمد عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ} [الأعراف: ١٤٣] قَالَ: « قَالَ: هَكَذَا، يَعْنِي أَنَّهُ أَخْرَجَ طَرَفَ الْخِنْصَرِ »[١]

وفى رواية : قَالَ حَمَّادٌ: هَكَذَا، وَأَمْسَكَ سُلَيْمَانُ بِطَرَفِ إِبْهَامِهِ عَلَى أُنْمُلَةِ إِصْبَعِهِ الْيُمْنَى قَالَ: " فَسَاخَ الجَبَلُ {وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا} [الأعراف: ١٤٣] "[٢]

وعليه : فإن الرؤية ممكنة عقلاً غير واقعة بالفعل

روى الإمام مسلم عن أَبِي مُوسَى الأشعري، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ – وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ – لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ[٣]

معنى قوله « يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ » معناه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار الذي بعده وعمل النهار قبل عمل الليل الذي بعده.

قوله « سُبُحَاتُ» أي نوره تعالى وجلاله وبهاءه وعظمته، وفى الاصل جمال الوجه وبهاءه

قال شيخ الإسلام رحمه الله : وَمَنْ قَالَ مِنْ النَّاسِ: إنَّ الْأَوْلِيَاءَ أَوْ غَيْرَهُمْ يَرَى اللَّهَ بِعَيْنِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ مُخَالِفٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ سَلَفِ الْأُمَّةِ؛ لَا سِيَّمَا إذَا ادَّعَوْا إنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنْ مُوسَى فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يُسْتَتَابُونَ؛ فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا قُتِلُوا، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ[٤]

وعليه : فإن لم تتحقق الرؤية لموسى عليه السلام فغيره أولى أن لا تتحقق له

قال الإمام البربهارى في شرح السنة : ومن زعم أنه يرى ربه في دار الدنيا فهو كافر بالله[٥].

١- أخرجه أحمد (١٢٢٦٠) إسناده صحيح على شرط مسلم والحاكم (٣٢٤٩) وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ ووافقه الذهبي والترمذي (٣٠٧٤)

٢- أخرجه الترمذي (٣٠٧٤) وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧٤/٧)

٣- أخرجه مسلم (١٦١/١، ١٧٩) بَابٌ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ، وَفِي قَوْلِهِ: حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ

٤- مجموع الفتاوى (٦/ ٥١٢)

٥- شرح السنة (١/ ٦٨)

والعلة في ذلك : أنه في هذه الحالة يكون مكذباً لرسول الله ﷺ لما قال : «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ»

ثانياً : رؤية النبي ﷺ لربه عز وجل

الكلام في هذه المسألة ينحصر في ثلاثة محاور :

الأول : رؤية النبي ﷺ لربه عز وجل في الدنيا

الثاني : رؤية النبي ﷺ لربه عز وجل في المنام

الثالث : رؤية النبي ﷺ لربه عز وجل في المعراج

المحور الأول : رؤية النبي ﷺ لربه عز وجل في الدنيا عياناً

اتفق أهل السنة والجماعة أن النبي ﷺ لم يرى ربه عز وجل في الدنيا عياناً

قال شيخ الإسلام رحمه الله: « وَبِالْجُمْلَةِ أَنَّ كُلَّ حَدِيثٍ فِيهِ {أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ بِعَيْنَيْهِ فِي الْأَرْضِ} وَفِيهِ {أَنَّهُ نَزَلَ لَهُ إلَى الْأَرْضِ}... إلى أن قال... كُلُّ هَذَا كَذِبٌ بَاطِلٌ بِاتِّفَاقِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِمْ. وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ ادَّعَى أَنَّهُ رَأَى رَبَّهُ بِعَيْنَيْهِ قَبْلَ الْمَوْتِ فَدَعْوَاهُ بَاطِلٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ لِأَنَّهُمْ اتَّفَقُوا جَمِيعُهُمْ عَلَى أَنَّ أَحَدًا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَرَى رَبَّهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ حَتَّى يَمُوتَ. وَثَبَتَ ذَلِكَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ الدَّجَّالَ قَالَ: وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يَرَى رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ}»[1] .

ووجه الدلالة من حديث «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ» : أن المخاطب يدخل في جملة من خاطبهم هذا هو الأصل إلا إذا دل دليل أخر يدل على غير ذلك

المحور الثاني : رؤية النبي ﷺ لربه عز وجل في الدنيا

وهى وقعت وصحت وثبتت

روى الإمام أحمد والترمذي عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: احْتُبِسَ عَنَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ غَدَاةٍ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى كِدْنَا نَتَرَاءَى عَيْنَ الشَّمْسِ، فَخَرَجَ سَرِيعًا فَثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ دَعَا بِصَوْتِهِ فَقَالَ لَنَا: «عَلَى مَصَافِّكُمْ كَمَا أَنْتُمْ» ثُمَّ انْفَتَلَ إِلَيْنَا فَقَالَ: " أَمَا إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي

١- مجموع الفتاوى (٣/ ٣٨٩)

عَنْكُمُ الغَدَاةَ: أَنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ فَتَوَضَّأْتُ فَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي فَاسْتَثْقَلْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي رَبِّ، قَالَهَا ثَلَاثًا " قَالَ: " فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ، فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الكَفَّارَاتِ، قَالَ: مَا هُنَّ؟ قُلْتُ: مَشْيُ الأَقْدَامِ إِلَى الجَمَاعَاتِ، وَالجُلُوسُ فِي المَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَإِسْبَاغُ الوُضُوءِ فِي المَكْرُوهَاتِ، قَالَ: ثُمَّ فِيمَ؟ قُلْتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَلِينُ الكَلَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ. قَالَ: سَلْ. قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ "، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا»[1].

وعليه : فقد أثبت العلماء رؤية النبي ﷺ لربه في المنام وهذه الرؤيا ليست محل خلاف بين العلماء وقد وقعت بالمدينة

قال العلامة ابن القيم : قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: وقد صح عنه أنه قال: " «رأيت ربي تبارك وتعالى» " ولكن لم يكن هذا في الإسراء، ولكن كان في المدينة لما احتبس عنهم في صلاة الصبح، ثم أخبرهم عن رؤية ربه تبارك وتعالى تلك الليلة في منامه، وعلى هذا بنى الإمام أحمد رحمه الله تعالى، وقال: نعم رآه حقا، فإن رؤيا الأنبياء حق ولا بد[2]

ملحوظة : نسب إلى الإمام أحمد أنه رأى ربه في المنام وهذا كلام لا يصح ولا يثبت ولا يستقيم فمن ادعى أنه رأى ربه في المنام فهو كذاب يخشى عليه من الزندقة

فلما حدث النبي ﷺ أصحابه بهذه الرؤيا وقصها عليهم لم يرد مطلقاً أن الصحابة سألوا النبي ﷺ وقالوا صف لنا ربك هذا لم يرد ، ولكن تقبلوا الخبر بصدق وهذا هو الواجب علينا خبرٌ يصدق

فإن قيل كيف رأه؟

الجواب: قال تعالى﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [٣٦:الإسراء]

فإن قيل كيف تعرف النبي ﷺ على ربه في المنام ؟

قيل : أوحى الله إليه بذلك ، وهذه ليست إلا له ﷺ أما غيره فلا يصح ولا يثبت

١- أخرجه أحمد (٢٢١٠٩) وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٥٤٠) والترمذي (٣٢٣٥) وصححه الألباني في المشكاة (٧٤٨)

٢- زاد الميعاد (٣/ ٣٣)

المحور الثالث : رؤية النبي ﷺ لربه عز وجل في المعراج:

وقع الخلاف بين السلف في هذا المحور ومرجع الخلاف يرجع إلى سببين :

١- أن الخبر الذى اشتمل على ثبوت الرؤية إن كان صحيحاً فهو غير صريح

٢- وإن كان صريحاً فهو غير صحيح

وضابط العقيدة التي لا يقع فيها خلاف : هي التي دل عليها الدليل الصحيح المشتمل على الخبر الصريح

قال الإمام الذهبي : وَلاَ نُعَنِّفُ مَنْ أَثْبَتَ الرُّؤْيَةَ لِنَبِيِّنَا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الدُّنْيَا، وَلاَ مَنْ نَفَاهَا، بَلْ نَقُوْلُ: اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمُ، بَلَى نُعَنِّفُ وَنُبَدِّعُ مَنْ أَنْكَرَ الرُّؤْيَةَ فِي الآخِرَةِ، إِذْ رُؤْيَةُ اللهِ فِي الآخِرَةِ ثَبَتَ بِنُصُوْصٍ مُتَوَافِرَةٍ[١]

وعدم التعنيف في هذا المحور لثلاثة أمور معتبرة :

١- ليس في المسألة دليل قطعي الدلالة يجب الأخذ به نفياً أو إثباتاً

٢- أن النبوة لنبينا ﷺ لا يتوقف بثبوتها على الرؤية

٣- وقع التنازع بين الصحابة في المسألة

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي : وَإِنْ كَانَتْ رُؤْيَةُ الرَّبِّ تَعَالَى أَعْظَمَ وَأَعْلَى، فَإِنَّ النُّبُوَّةَ لَا يَتَوَقَّفُ ثُبُوتُهَا عَلَيْهَا ألبته[٢]

أقوال الصحابة في رؤية النبي ﷺ لرب عز وجل في المعراج :

القول الأول : من أثبت الرؤية مطلقاً ولم يقيدها بالقلب أو بالعين وهذا قول ابن عباس وسائر الصحابة ، وكعب الأحبار ، وأبي هريرة ، والزهري ، ومعمر ، ولكن الرواية عن أنس وأبي هريرة أسانيدها ضعيفة

١- روى ابن أبي عاصم والحاكم وابن خزيمة من طريق قَتَادَةَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَتَعْجَبُونَ أَنْ تَكُونَ الْخُلَّةُ - لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْكَلَامُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالرُّؤْيَةُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٣]

١- سير أعلام النبلاء (١٠/ ١١٤)

٢- شرح الطحاوية (١/ ٢٢٥)

٣- أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٤٤٢) وصححه الألباني في ظلال الجنة وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٤٧٩) الحاكم في المستدرك (٣٧٤٧) هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ ووافقه الذهبي ، والنسائي في الكبرى (١١٤٧٥)

٢- روى الترمذي وابن أبي عاصم من طريق الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ» . قَالَ: قُلْتُ: أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ} [الأنعام: ١٠٣] ؟ قَالَ: «وَيْحَكَ ذَاكَ إِذَا تَجَلَّى بِنُورِهِ الَّذِي هُوَ نُورُهُ» . قَالَ: وَقَالَ: «رَأَى رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَرَّتَيْنِ»[١]

٣- روى الترمذي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى} [النجم: ١٤] {فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} [النجم: ١٠] {فَكَانَ قَابَ} [النجم: ٩] قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «قَدْ رَآهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٢]

٤- روى الترمذي عن ابْنِ عَبَّاسٍ، {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} [النجم: ١١] قَالَ: «رَآهُ بِقَلْبِهِ»[٣]

القول الثاني : من نفى الرؤية مطلقاً وعلى رأسهم أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها

١- روى مسلم في صحيح من حديث مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي، وَلَا تُعْجِلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ} [التكوير: ٢٣]، {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} [النجم: ١٣]؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»، فَقَالَتْ: أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: ١٠٣]، أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ} [الشورى: ٥١]؟، قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} [المائدة: ٦٧]، قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ} [النمل: ٦٥][٤]

١- أخرجه الترمذي(٣٢٧٩) والنسائي (١١٥٣٧) وابن أبي عاصم(٤٣٧) وابن خزيمة (٢/ ٤٨٢) قال محقق السنة لابن أبي عاصم د/ باسم بن فيصل اسناده حسن (٣٠٩/١) برقم (٤٤٦٦) وقال الارنؤوط في تحقيقه لسنن الترمذي (٣٥٦٣) حسن

٢- أخرجه الترمذي (٣٢٨٠) واللاكائى (٩٠٦) وقال الألباني في الظلال حسن صحيح

٣- أخرجه الترمذي(٣٢٨١) واللاكائى (٩١٣١) وابن خزيمة (٢/ ٤٨٩)وقال الارنؤوط في تحقيقه لسنن الترمذي (٣٥٦٥) رواية سماك بن حدب روايته عن عكرمة فيها اضطراب وبقية رجاله ثقات ورواه مسلم (١٧٦٦) وصححه الألباني في الظلال

٤- أخرجه مسلم (١٧٧)

روى الشيخان عن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى} [النجم: ١٨]، قَالَ: «رَأَى رَفْرَفًا أَخْضَرَ سَدَّ أُفُقَ السَّمَاءِ»[١]

وفى رواية من طريق أَبُو إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيُّ، قَالَ: سَأَلْتُ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى. فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} [النجم: ١٠] قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ «رَأَى جِبْرِيلَ، لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ»[٢]

فإن قيل : هل هذا الدليل لم يصل إلى ابن عباس ؟ وهل خفى عليه ؟

قيل: نعم ، وهل في ذلك إشكال ؟ وهل هناك أحد جمع العلم كله بعد رسول الله ﷺ ؟ الجواب لا

قال الحافظ ابن حجر : وَفِي الْقِصَّةِ (مراجعة عمر أبى بكر في قتال مانعي الزكاة) دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ السُّنَّةَ قَدْ تَخْفَى(الزيادة التي في الحديث هي : أمرت أن أقاتل الناس – ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) عَلَى بَعْضِ أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ وَيَطَّلِعُ عَلَيْهَا آحَادُهُمْ (عبد الله بن عمر) وَلِهَذَا لَا يُلْتَفَتُ إِلَى الْآرَاءِ وَلَوْ قَوِيَتْ مَعَ وُجُودِ سُنَّةٍ تُخَالِفُهَا وَلَا يُقَالُ كَيْفَ خَفِيَ ذَا عَلَى فُلَانٍ وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ[٣]

القول الثالث : من قيد الرؤيا بالقلب

روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} [النجم: ١١] {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} [النجم: ١٣]، قَالَ: «رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ»[٤]

القول الرابع : قول من يقول أن النبي ﷺ رأى نوراً

وهذا القول مأثور عن أبى ذر الغفار رضى الله عنه – روى الإمام مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: قُلْتَ لِأَبِي ذرٍّ، لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: عَنْ أيِّ شيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَدْ سَأَلْتُ، فَقَالَ: «رَأَيْتُ نُورًا»[٥]

وفى لفظ عند مسلم عن أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»[٦]

١- أخرجه البخاري (٣٢٣٣) ومسلم (١٧٤) والترمذي (٣٢٨٣)

٢- أخرج البخاري (٣٢٣٢) ومسلم (١٧٤)

٣- فتح الباري (١/ ٧٦)

٤- أخرجه مسلم (١/١٥٨، ١٧٦)

٥- أخرجه مسلم (١/١٦١، ١٧٨) وأحمد (٢١٣١٣) والترمذي (٣٢٨٢)

٦- أخرج مسلم (١/١٦١، ١٧٨)

القول الخامس : وهو التوقف وهو قول سعيد بن جبير وقول الدارمي والذهبي وغيرهم

وقفات تأملية مع النصوص الواردة في الرؤية :

الوقفة الأولى : بالنظر إلى الآيات القرآنية التي استدل بها على نفي الرؤية أو على ثبوتها نجد أن هذه الآيات لا تدل على ذلك

أولاً : قوله تعالى﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٠٣: الأنعام] هذ الآية تحتمل ثلاث معانى :

١- ما قاله ابن عباس لمولاه عكرمة « ذَلِكَ نُورُهُ الَّذِي هُوَ نُورُهُ، إِذَا تَجَلَّى بِنُورِهِ لَا يُدْرِكُهُ شَيْءٌ »

٢- الإدراك هنا بمعنى الإحاطة وعليه فنفى الإحاطة لا يلزم منه نفى الرؤية ، بل نفى الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية ، فإذا ثبت له ذلك لا يلزم أنه أحاط به

٣- أي لا تدركه أبصار الناس وهو الظاهر من لفظ ﴿ الْأَبْصَارُ ﴾ لأن لفظ الأبصار إنما يقع على أبصار الجماعة فلا يوجد في لغة العرب من يقول[لبصر امرئ واحد أبصار]، وإنما يقال لبصر امرئ واحد بصر، ولا يوجد من يقول لعين امرئ واحد بصرين فكيف أبصار.

وعليه : فلو قلنا أن الأبصار ترى ربنا في الدنيا لكان هذا معارضاً للنص، فأما إن قلنا أن النبي ﷺ رأى ربه دون سائر الخلق ، فلم نقل أن الأبصار قد رأت ربها ، وعلى هذا فمن قال أن النبي ﷺ رأى ربه لم يعظم على الله الفرية

الآية الثانية : قال تعالى﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [٥١: الشورى]

فليس في الآية معارضة لثبوت الرؤية لأنه لم يقل أحد ممن أثبت الرؤية أن الله عز وجل كلم في ذلك الوقت فلا يلزم من ثبوت الرؤية ثبوت الكلام

الآية الثالثة : قال تعالى﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [١١:النجم] وقوله تعاله ﴿ (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [١٣: النمل] وقوله تعالى﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [١٨:النجم]

فهذه الآيات لا تدل دلالة صريحة على إثبات رؤية النبي ﷺ

قال الإمام ابن خزيمة : أن اللَّهَ إِنَّمَا أَخْبَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى وَلَمْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ رَأَى رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَآيَاتِ رَبَّنَا لَيْسَ هُوَ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا فَتَفَهَّمُوا لَا تُغَالِطُوا فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ[١]

قال القاضي عياض : والقول بأنه رآه بِعَيْنِهِ فَلَيْسَ فِيهِ قَاطِعٌ أَيْضًا وَلَا نَصٌّ إِذِ المعَوَّلُ فِيهِ عَلَى آيَتَي النَّجْمِ والتَّنازعُ فِيهمَا مَأْثُورٌ وَالاحْتِمالُ لَهُمَا مُمْكِنٌ وَلَا أَثَرَ قَاطِعٌ مُتَواتِرٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٢]

قال شيخ الإسلام : قَالَ تَعَالَى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا} وَلَوْ كَانَ قَدْ أَرَاهُ نَفْسَهُ بِعَيْنِهِ لَكَانَ ذِكْرُ ذَلِكَ أَوْلَى[٣]

الوقفة الثانية : ليس في السنة دليل قاطع صريح لأحد الفريقين ، من قال بالثبوت أو قال بعكس ذلك

قال ابن خزيمة : لَمْ تَحْكِ عَائِشَةُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ خَبَّرَهَا أَنَّهُ لَمْ يَرَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ[٤]

قال النووي : ثُمَّ إِنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمْ تَنْفِ الرُّؤْيَةَ بِحَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ كَانَ مَعَهَا فِيهِ حَدِيثٌ لَذَكَرَتْهُ وَإِنَّمَا اعْتَمَدَتِ الِاسْتِنْبَاطَ مِنَ الْآيَاتِ[٥]

وبالنظر إلى حديث أبى موسى الأشعري ، وكذلك بالنظر إلى حديث أبى ذر « نور أنى أراه» أنه رأى الحجاب والمعنى كيف أراه ، والنور حجاب بيني وبينه يمنعني من رؤيته

الوقفة الثالثة : قول ابن عباس بثبوت الرؤية

قال ابن خزيمة : فَقَدْ ثَبَتَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِثْبَاتُهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رَأَى رَبَّهُ، وَبِيَقِينٍ يَعْلَمُ كُلُّ عَالِمٍ أَنَّ هَذَا مِنَ الْجِنْسِ الَّذِي لَا يُدْرَكُ بِالْعُقُولِ، وَالْآرَاءِ وَالْجِنَانِ وَالظُّنُونِ، وَلَا يُدْرَكُ مِثْلُ هَذَا الْعِلْمِ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ النُّبُوَّةِ، إِمَّا بِكِتَابٍ أَوْ بِقَوْلِ نَبِيٍّ مُصْطَفًى[٦]

١- كتاب التوحيد لابن خزيمة (٣٩٨/١) دار العاصمة

٢- الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢٣٧/١)

٣- مجموع الفتاوى (١٠/ ٥١٠)

٤- كتاب التوحيد لابن خزيمة (٥٥٥/٢) دار الرشد

٥- شرح النووي على مسلم (٥/٣)

٦- كتاب التوحيد لابن خزيمة (٥٥٥/٢) دار الرشد

قال ابن خزيمة : قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: فَذَكَرْتُ هَذَا الْحَدِيثَ(حديث عائشة «، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ.. » لِمَعْمَرٍ، فَقَالَ: «مَا عَائِشَةُ عِنْدَنَا بِأَعْلَمَ مِنَ ابْنِ عَبَّاسٍ»[١]

الوقفة الرابعة : المثبت مقدم على النافي عند عدم وجود النص القاطع من الكتاب أو السنة، فعائشة نفت الرؤية وابن عباس أثبتها وإثباته لها ليس من باب الاجتهاد منه

قال الإمام النووي : فَالْحَاصِلُ أَنَّ الرَّاجِحَ عِنْدَ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رَأَى رَبَّهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ لِحَدِيثِ بن عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ مِمَّا تَقَدَّمَ وَإِثْبَاتُ هَذَا لَا يَأْخُذُونَهُ إِلَّا بِالسَّمَاعِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا مِمَّا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُتَشَكَّكَ فِيهِ[٢]

الوقفة الخامسة: الجمع بين الأدلة هو الأولى في حالة التعارض فهو أولى من الترجيح إذا كان الجمع ممكن من غير تكليف

قال شيخ الإسلام : لَيْسَ ذَلِكَ بِخِلَافِ فِي الْحَقِيقَةِ فَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ لَمْ يَقُلْ رَآهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ ... وَلَيْسَ فِي الْأَدِلَّةِ مَا يَقْتَضِي أَنَّهُ رَآهُ بِعَيْنِهِ وَلَا ثَبَتَ ذَلِكَ عَنْ أَحَدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ وَلَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ[٣]

وعليه فالجمع يتم بحمل نفى عائشة على الرؤية البصرية وإثبات ابن عباس على الرؤية القلبية

وعليه فما المقصود بالرؤية القلبية؟

قال الإمام القرطبي : قَوْلُهُ تَعَالَى: (مَا كَذَبَ الْفُؤادُ مَا رَأى) أَيْ لَمْ يَكْذِبْ قَلْبُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ بَصَرَهُ فِي فُؤَادِهِ حَتَّى رَأَى رَبَّهُ تَعَالَى وَجَعَلَ اللَّهُ تِلْكَ رُؤْيَةً[٤]

قال الحافظ : ثُمَّ الْمُرَادُ بِرُؤْيَةِ الْفُؤَادِ رُؤْيَةُ الْقَلْبِ لَا مُجَرَّدَ حُصُولِ الْعِلْمِ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَالِمًا بِاللَّهِ عَلَى الدَّوَامِ بَلْ مُرَادُ مَنْ أَثْبَتَ لَهُ أَنَّهُ رَآهُ بِقَلْبِهِ أَنَّ الرُّؤْيَةَ الَّتِي حَصَلَتْ لَهُ خُلِقَتْ فِي قَلْبِهِ كَمَا يَخْلُقُ الرُّؤْيَةَ بِالْعَيْنِ لِغَيْرِهِ وَالرُّؤْيَةُ لَا يُشْتَرَطُ لَهَا شَيْءٌ مَخْصُوصٌ عَقْلًا وَلَوْ جَرَتِ الْعَادة بخلقها فِي الْعين[٥]

١- كتاب التوحيد لابن خزيمة (٥٦١/٢) دار الرشد

٢- شرح النووي على مسلم (٥/٣)

٣- مجموع الفتاوى (٦/ ٥٠٧، ٥٠٩)

٤- تفسير القرطبي (٢١/٢٠)

٥- فتح الباري (٨/ ٦٠٨)

والمعنى بكلام ابن حجر : أن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء فالذي يجعل الخلق يرون بأعينهم قادر على غير ذلك ، وعليه فالله سبحانه وتعالى بائن من خلقه أي أنه ليس حالاً من مخلوقاته ليس هو داخل في شيء من مخلوقاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، فليس في ذات الله شيء من مخلوقاته ولا في مخلوقاته شيء من ذاته

ثالثاً : رؤيا المؤمنين لربهم عز وجل في الجنة

أجمع أهل السنة والجماعة على أن المؤمنين يرون الله عز وجل في الجنة بأبصارهم ولم يخالف في ذلك إلا المعتزلة والخوارج والروافض

الأدلة الشرعية على هذا الإجماع وعلى هذا المعتقد :

الدليل الأول : قال تعالى﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [٢٣: القيامة]

استعما ت النظر في لغة العرب يأتي كما يلى :

أو ً : التأمل العقلي بدل من التأمل البصرى مثال ذلك : قوله تعالى﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى ﴿عَامِهِ﴾ [٢٤:عبس] وقوله تعالى﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [١٧:الغاشية]

ثانياً : انتظار الشيء وتوقعه وتأمله ومنه قوله تعالى﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [٣٥:النمل]

ثالثاً : بمعنى الرعاية والعطف ومنه قوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [١٠٤:البقرة]

رابعاً : النظر بالعينين اللتين في الوجه ، فالنظر إذا عدى ب «إلى » ، وإذا أضيف إلى الوجوه ، ولم يكن هناك قرينة تصرفه فإنه يكون بمعنى النظر بالعين التي في الوجه

شبهة وجوابها :

قال حسان بن ثابت : وجوه يوم بدر ناظرات إلى الرحمن يأتي بالفلاح

فالنظر في بيت الشعر أضيف إلى الوجوه وعدى بإلي ومع ذلك معناه منتظرات إلى نصر الله عز وجل

الجواب في الشبهة : في البيت قرينة تجعل النظر لا يكون إلا بمعنى الانتظار وهى« أن الله عز وجل لا يرى بالأعين في الدنيا وحسان قال هذا يوم بدر»

وجه أخر في سورة يوم القيامة : اتفق المبتدعة مع أهل السنة على أن المراد من قوله تعالى﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [١٤٣: الأعراف] أن النظر هنا بالعينين ، فلماذا قالوا أن النظر في آية سورة القيامة ليس بالعينين مع أن الأدلة في آية القيامة أوضح منها في سورة الأعراف ، ففي آية القيامة أضيف إلى الوجوه وعدى بإلي ، أما في سورة الأعراف عُدى بإلي فقط

الدليل الثاني : وجه الاستدلال من آية الأعراف على ثبوت الرؤية

الوجه الأول : لو كانت الرؤية مستحيلة ما سأل نبي الله موسى فالله عز وجل سمع هذا من موسى عليه السلام وسكت

الوجه الثاني : أن الله عز وجل لم ينكر على نبي الله موسى سؤاله ولم يرد عليه السؤال وهذا يدل على أن السؤال جائز والرؤية ممكنة

الوجه الثالث : قول تعالى﴿ لن تراني ﴾ أي في الدنيا ولم يقل [لا أُرى] فإن لن إذا دخلت على المضارع تفيد النفي في المستقبل ولا تفيد النفي على التأبيد إلا إذا أضيفت بقرينة ، قال تعالى﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [٩٥:البقرة] وقال تعالى﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [٧٧:الزخرف]

قال أئمة اللغة : لو كانت « لن » تفيد النفي على التأبيد ما جاء بعدها الاستثناء أو حتى ، قال تعالى﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [٨٠:يوسف] وقال تعالى﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [١٢٠:البقرة]

الوجه الرابع : علق الله تعالى إمكان الرؤية وحصولها على أمر ممكن جائز وهى استقرار الجبل فلو كانت الرؤية مستحيلة لما علقها على أمر ممكن

الوجه الخامس : الله تعالى تجلى للجبل أليس في الإمكان أن يتجلى لموسى عليه السلام ولكن قوة البشر لا تتحمل الرؤية في الدنيا

روى الإمام أحمد عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ} [الأعراف: ١٤٣] قَالَ: « قَالَ: هَكَذَا، يَعْنِي أَنَّهُ أَخْرَجَ طَرَفَ الْخِنْصَرِ »[١]

١- أخرجه أحمد (١٢٢٦٠) إسناده صحيح على شرط مسلم والحاكم (٣٢٤٩) وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ ووافقه الذهبي والترمذي (٣٠٧٤)

وفى رواية : قَالَ حَمَّادٌ: هَكَذَا، وَأَمْسَكَ سُلَيْمَانُ بِطَرَفِ إِبْهَامِهِ عَلَى أُنْمُلَةِ إِصْبَعِهِ الْيُمْنَى قَالَ: " فَسَاخَ الجَبَلُ {وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا} [الأعراف: ١٤٣] "[١]

الوجه السادس : الله تعالى كلم موسى بنص القرآن ، ولما جاز على الله أن يكلم ويناجى جاز له أن يُرى

الوجه السابع : كل موجود لا بد أن يُرى ومن لا يُرى فهو معدوم

الدليل الثالث : قال تعالى﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [٢٦:يونس]

وجه الاستدلال من الآية : أن الزيادة هنا فسرها النبي ﷺ بأنها النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى

روى ابن ماجه عن صُهَيْبٍ بن سنان، قَالَ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦] ، وَقَالَ: " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارِ، نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ، فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقِّلِ اللَّهُ مَوَازِينَنَا، وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَيُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ – يَعْنِي إِلَيْهِ – وَلَا أَقَرَّ لِأَعْيُنِهِمْ "[٢]

الدليل الرابع : قال تعالى﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [١٥:المطففين]

دلت الآية على أن الله عز وجل يحجب نوره عن أعداءه يوم القيامة ، إذن بمفهوم المخالفة أن الأولياء ينظرون إلى ربهم

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله : فَإِنَّهُ يُفْهَمُ مِنْ مَفْهُومِ مُخَالَفَتِهِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسُوا مَحْجُوبِينَ عَنْهُ جَلَّ وَعَلَا[٣]

شبهة حول آية المطففين :

قالوا : إنكم تستدلون بمفهوم المخالفة مع أنه فيه نزاع عند أهل الأصول في الأحكام العملية فكيف بالاعتقادية ؟

الجواب : قال الإمام الشوكاني : الاستدلال بمفهوم المخالفة هو الصواب إلا في حالتين:

١- إن خرج الكلام مخرج الغالب كقوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [١٣٠: آل عمران] فهل معنى ذلك يأكل القليل ؟ الجواب : لا

١- أخرجه الترمذي (٣٠٧٤) وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧٤/٧)

٢- أخرجه ابن ماجه (١٨٧) وأحمد (١٨٩٤١) إسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في ظلال الجنة (٤٧٢)

٣- أضواء البيان (٢٩٧/٢)

٢- مفهوم اللقب: مثال ذلك مُحَمَّد رسول الله ﷺ ، فهل معنى ذلك أن ليس هناك رسول إلا مُحَمَّد ؟ الجواب لا

وأهل السنة لم يبنوا الحكم على هذه الآية فقط ولكن هذا المفهوم يؤيد المنطوق في الآيات الأخرى وهى آية القيامة ويونس

شبهة وجوابها :

قال تعالى﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٠٣: الأنعام]

قال شيخ الإسلام :« أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ، ذَكَرَ هَذِهِ الْآيَةَ يَمْدَحُ بِهَا نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَمَعْلُومٌ أَنَّ كَوْنَ الشَّيْءِ لَا يُرَى لَيْسَ صِفَةَ مَدْحٍ، لِأَنَّ النَّفْيَ الْمَحْضَ لَا يَكُونُ مَدْحًا إنْ لَمْ يَتَضَمَّنْ أَمْرًا ثُبُوتِيًّا، وَلِأَنَّ الْمَعْدُومَ أَيْضًا لَا يُرَى، وَالْمَعْدُومُ لَا يُمْدَحُ، فَعُلِمَ أَنَّ مُجَرَّدَ نَفْيِ الرُّؤْيَةِ لَا مَدْحَ فِيهِ. وَهَذَا أَصْلٌ مُسْتَمِرٌّ، وَهُوَ أَنَّ الْعَدَمَ الْمَحْضَ الَّذِي لَا يَتَضَمَّنُ ثُبُوتًا لَا مَدْحَ فِيهِ وَلَا كَمَالَ، فَلَا يَمْدَحُ الرَّبُّ نَفْسَهُ بِهِ، بَلْ وَلَا يَصِفُ نَفْسَهُ بِهِ، وَإِنَّمَا يَصِفُهَا بِالنَّفْيِ الْمُتَضَمِّنِ مَعْنَى ثُبُوتٍ»[١]

الأدلة من السنة على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة :

قال الإمام ابن أبي الغز في شرح الطحاوية : وَقَدْ رَوَى أَحَادِيثَ الرُّؤْيَةِ نَحْوُ ثَلَاثِينَ صَحَابِيًّا. وَمَنْ أَحَاطَ بِهَا مَعْرِفَةً يَقْطَعُ بِأَنَّ الرَّسُولَ قَالَهَا[٢]

١- روى الشيخان عن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي البَدْرَ - فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» ثُمَّ قَرَأَ: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ} [٣]

وفى رواية « لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ» بالتخفيف والتشديد «تُضَامُونَ- تُضَامُّونَ»

قوله ﷺ «كَمَا تَرَوْنَ» تشبيه للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي

وقوله ﷺ « لاَ تُضَامُّونَ » بالتشديد أي لا تجتمعون لرؤيته في جهة ولا يضم بعضكم إلى بعض فتختلفون في رؤيته ، فيقول واحد : هو ذاك ، ويقول الأخر : ليس بذاك ، على ما جرت به عادة الناس عند النظر إلى الهلال أول ليلة من الشهر

وقوله « تُضَامُونَ» بالتخفيف أي لا ينالكم ظلم فيراه البعض دون البعض

١- منهاج السنة (٣١٩/٢)

٢- شرح الطحاوية (٢١٨) ط. الرسالة

٣- أخرجه البخاري (٥٥٤) ومسلم (٦٣٣)

٢- روى النسائي من حديث عمار بن ياسر كان النبي ﷺ يدعو بهذا الدعاء «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»[١]

الشاهد : فلو كانت الرؤية مستحيلة ما سألها النبي ﷺ

٣- روى ابن ماجه عن صُهَيْبٍ بن سنان، قَالَ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦] ، وَقَالَ: " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ، فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقِّلِ اللَّهُ مَوَازِينَنَا، وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَيُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ - يَعْنِي إِلَيْهِ - وَلَا أَقَرَّ لِأَعْيُنِهِمْ "[٢]

رؤية المولى عز وجل في ساحة الموقف وعرصات يوم القيامة

هل تحصل لأهل الموقف أم لا ؟ ثلاثة أقوال لأهل العلم :

أولاً : الرؤية تحصل في عرصات يوم القيامة لخصوص المؤمنين

ودليلها : ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري وفيه يقول ﷺ « فَيَقُولُ الرب : هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً»[٣]

القول الثاني : الرؤية تحصل للمؤمنين وللمنافقين ثم يحتجب الله عز وجل عن المنافقين

القول الثالث : الرؤية لأهل الموقف قاطبة ثم يحتجب الله عز وجل عن المنافقين والكافرين

والرؤية التي تحدث أو تحصل في الموقف هي رؤية تعريف وتغريب للكافرين والمنافقين

مثال ذلك في الدنيا : عرض اللص على السلطان

١- أخرجه النسائي (١٣٠٥) وأحمد (١٨٣٢٥) وصححه الألباني في المشكاة (٢٤٩٧)

٢- أخرجه ابن ماجه (١٨٧) وأحمد (١٨٩٤١) إسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في ظلال الجنة (٤٧٢)

٣- أخرجه البخاري (٧٤٣٩)

ودليل القول الثالث : قال تعالى﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [٢١:الفرقان]

ودليل القول الثاني : ليس في وقوع الرؤية في ساحة الحساب يوم القيامة أي محظور ولا إشكال لأنها ليست رؤية كرامة – وهذا دلي عقلي

لقاء الله عز وجل على قسمين :

١– لقاء الله عز وجل لعباده الموحدين لقاء إكرام وإنعام

٢– لقاء الله عز وجل للكافرين والمنافقين لقاء امتهان وتعذيب

وكذلك رؤية الله عز وجل فهي للموحدين إنعام وإكرام وهى للكافرين والمنافقين تعذيب وامتهان

وعليه : فرؤية المؤمنين لربهم في الجنة من أنكرها خرج عن الملة ، ورؤية الكافرين لربهم في عرصات يوم القيامة يراعى فيها الاتي :

١– يجوز السكوت عن هذه المسألة

٢– لا يجب ولا يجوز أن نمتحن الناس بها

٣– لا يجوز لأحد أن يطلق بأن الكافرين والمنافقين يرون الله هكذا بإطلاق وذلك لأمرين معتبرين :

أ– أن الرؤية إذا أطلقت فهي رؤية إكرام

ب– للقاعدة الأصولية : أن الحكم العام إذا كان تخصيص بعضه باللفظ خروجاً عن الجميل والادب فلا يجوز أن نخص هذا البعض بذلك البعض ولا يجوز أن نطبقه عليه

مثال ذلك : قول الانسان « الله رب كل شيء » فيدخل في الشيء الكلاب والخنازير والمبتدعة فلا يجوز أن نقول رب الخنازير ، أو رب الكلاب ، لأن في هذا اللفظ خروجاً عن الجميل والأدب

ملحوظة : في أحكام الرؤية السابق ذكرها يدخل فيها النساء